العرب
السبت 2021/09/25
السنة 44 العدد 12190

ترحال بصري في غياهب مكان وزمان يُشبهان بيروت

اللبنانية فانيسا جميّل ترسم مدينة حمراء وليالي من نسيج الدانتيل

بالرغم من الهذيان الذي يعيشه لبنان، تواصل صالة "أجيال" البيروتية إقامتها جسرا فنيا امتدّ من الربيع الماضي وصولا إلى مداخل الخريف الحالي، لتقدّم مؤخرا معرضا للفنانة التشكيلية اللبنانية فانيسا جميّل حمل عنوانا يليق بمدينة بيروت.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

يتواصل حتى الثاني من أكتوبر القادم بقاعة "أجيال" البيروتية معرض للفنانة اللبنانية فانيسا جميّل حمل عنوان "مدينة حمراء وليال من دانتيل"، مستعرضا مجموعة كبيرة من اللوحات المشغولة بمادة الأكريليك "الوهّاجة".

وجاء عنوان المعرض ملائما لبيروت التي تتنازعها الحُمرة وليال "دانتيلية" أبت ألا تكون –أو على الأقل ألا تظهر– إلاّ متحليّة بأجمل ملابسها المُزركشة، وهي تخفي وراءها خواطر بعيدة عن الفرح والتمسّك بالحاضر الذي تصوّره الفنانة، ربما رغما عنها، ورغما عن الواقع "مُفرقعا" بتوهّجات لونية فرحة تصير أحيانا مُتعبة للنظر.

لوحات تحتفي بمدينة خالية عبر ألوان مكتظة

فرح مهرجاني

أما هذا الفرح التي تلبسه لوحاتها فهو من الشدّة ما يجعله أبعد عن التصديق، لذلك تجيء النصوص المُرافقة لتلك اللوحات لتكشف عن مسار آخر يجري بالتوازي مع ما تراه العين من "مهرجانيات" مدينة خالية من أصحابها. فالنصوص هي عبارة عن انسيابات تتقاطع مع اللوحات فتكون صداها وأعماقها.

أول انطباع يتشكّل عند زائر المعرض أنه حاضن للوحات مشغولة بسذاجة الطفولة الشغوفة بالألوان. طفولة تحمل ريشتها ولا تكاد تضع لونا إلاّ وتلحقه أو تجمعه بآخر، فلا العطش يرتوي ولا الألوان تتكدّر.

وتتنقل العين من لوحة إلى أخرى، لتجد ذاتها تبحث عمّا ستفضي إليه تلك اللوحات مُجتمعة من مكان ليس بمكان بقدر ما هو حالة أو خُلاصة لكل ما رأته.

وما هي إلاّ بضع دقائق، وأمام تتابع أجواء اللوحات اللونية والخطوط التي تتوالد من بعضها البعض والتي تنكمش وتنتشر وتتحوّل إلى ذاتها من جديد في كل لوحة، حتى تكتشف العين أن ما ترسمه الفنانة في لوحاتها التي بدت في الظاهر منفصلة عن بعضها البعض هو فصول من مسار واحد.

هي محطات من سياق زمني واحد يمتدّ بليله ونهاره ومكانه الذي يتّسع أفقيا، هو مدينة واحدة وهي بعدة شوارع ومضائق وتلال وشموس وأقمار وأشجار ومبان غير عالية، لا تعرف شيئا عن الأبراج الهمجيّة التي تكتسح المدينة المنمنمة، بيروت، تحت شعار الحداثة وركاكة التنظيم المدني.

وتلك المدينة التي تُريد بها الفنانة على الأرجح أن تكون بيروت هي مدينة لا تشبه إلاّ ما حاكته هي (أي الفنانة) في مخيلتها. مخيلة استندت من دون شك إلى وقائع، لتبتعد عنها كثيرا. ولم لا؟ فبيروت، لا بل لبنان بكليته ما عاد يشبه ذاته، ولم نعد نعثر عليه إلاّ في أغاني فيروز، ربما.

وحين يعود المرء إلى النصوص القصيرة التي ألحقتها الفنانة باللوحات نتأكّد من أنّ مجموعة لوحاتها المتجاورة ليست إلاّ تجسيدا لرحلة بصرية تأخذنا إليها الفنانة، رحلة تدوم من الليل إلى النهار أو العكس بالعكس.

وتأخذنا هذه الرحلة، التي بالرغم من ضجيجها اللوني وتوتّر خطوطها توحي بالسكينة، إلى الفيلم الرائع "أن تحب فان غوغ" لاسيما إلى المقتطفات التي نرى فيها الفنان يسير في شوارع وأماكن طبيعية هي لوحاته التي رسمها.

وجدير بالذكر أن أسلوب جميّل الفني، لناحية قوة الألوان وتعبيريتها ولناحية الخطوط والشموس والأفلاك المرسومة، يشي بتأثر الفنانة بفنسنت فان غوغ.

من هذا المنطلق بالتحديد لا تعود العين تبحث في تلك اللوحات التي نودّ أن نصفها بالمتابعة، لا تعود تبحث عن مكان ما تفضي إليه تلك اللوحات. فما يهم فقط هو الرحلة والاكتفاء بالتجوال والسير في أفق زمني/ مكاني صعودا وهبوطا للتلال والانحناءات الملونة المنفتحة على بعضها البعض.

خطوط تتوالد من بعضها البعض لتسرد مسارا واحدا

اللوحة ونصها

تشدّنا الفنانة إلى ترف رحلة نحن اليوم في أشد الحاجة إليها، رحلة ليست لها أية بداية ولا أية نهاية وأهميتها تكمن في السير فيها فقط. ربما لأجل ذلك يشعر المشاهد بنوع غرائبي من السكينة في خضم ألوان وخطوط جامحة: إنه الترف بأن تقبل الدعوة بالسير دون قلق النهايات والأهداف التي ننصبها كل يوم في لبنان لنراها تهوي أمام "إشكاليات" الحياة العصرية وتلك الحياة المُثقلة بالهموم التي اعتادها اللبناني ولم يعتدها فعلا.

وكما يعرف عالم الفن صعود نوع يجمع العمل الفني بصاحبه في صورة فوتوغرافية واحدة كضرب من ضروب الفن الإيمائي (مثل اللوحة/ الصورة الفوتوغرافية التي قدّمها الفنان الجزائري عبدالحليم كبيش والتي حملت عنوان "شظايا بيروت")، ليس من المُستحبّ أن ننظر إلى لوحات جميّل بمعزل عن النصوص التي كتبتها. فهي ليست متمّمات مُرفقة لها بقدر ما هي جزء لا يتجزأ من اللوحة.

ما قدّمته الفنانة فانيسا جميّل في صالة "أجيال" هو في حقيقته تجهيز أو سيناريو بصريّ/ فني مؤلّف من عنصرين لا فكاك لهما وهما اللوحة ونصها والنص ولوحته.

كل من قرأ نصوصها سيدرك أنها ليست بمثابة خواطر أو تعليق على اللوحات، بل هي أجزاء من سيناريو واحد مكتوب لفيلم غير متحرّك إلاّ في ذهن الفنانة وذهن كل من قبل وبيسر السير إلى جانبها صامتا في تلك الرحلة التأملية. من النصوص نذكر "تسير خلال الليالي في مدينتها، بيروتها المتصدّعة والممزّقة أرضا. دماء قرمزيّة تسيل من يديها حتى تتحوّل إلى شمع سائغ. المدينة خالية من البشر، غير أنها حاضرة وليست مختبئة. يُصبح غيابها حضورا يرقص بين ظلال الشبابيك المُقنطرة. أن نلتقي.. أن أعثر عليك، لأجل الترحال في الأنفاق القمرية. الرحيل معك في جولات ليلية تحت سماء زرقاء، وردية وسوداء".

أعمال الفنانة اللبنانية نوع من التجهيز البصريّ المؤلّف من عنصرين لا فكاك لهما، وهما اللوحة ونصها والنص ولوحته

من هو الذي تريد العثور، أو ما هو الذي تريد العثور عليه فانيسا؟ هل هو العثور في بيروت على بيروت؟ أم هدف الرحلة هو مجرد عذر للترحال وليس الرحيل في غياهب مكان وزمن يُشبه، أو يريد أن يشبه بيروت؟ على الأرجح كذلك.

وفانيسا جميّل من مواليد العام 1985، أقامت في باريس والولايات المتحدة عدّة سنوات قبل أن تعود لتستقر في لبنان.

بعد دروس في العلوم السياسية وجدت ضالتها في الرسم فتعلّمته واحترفته، لتعرض إثر ذلك في باريس ولندن وخاصة بيروت ضمن صالون الخريف في متحف سرسق سنة 2009، وفي السيتي سنتر ضمن معرض الفن الدولي – جناح الاغتراب اللبناني عام 2010، وغيرها من المشاركات المحلية والعالمية.

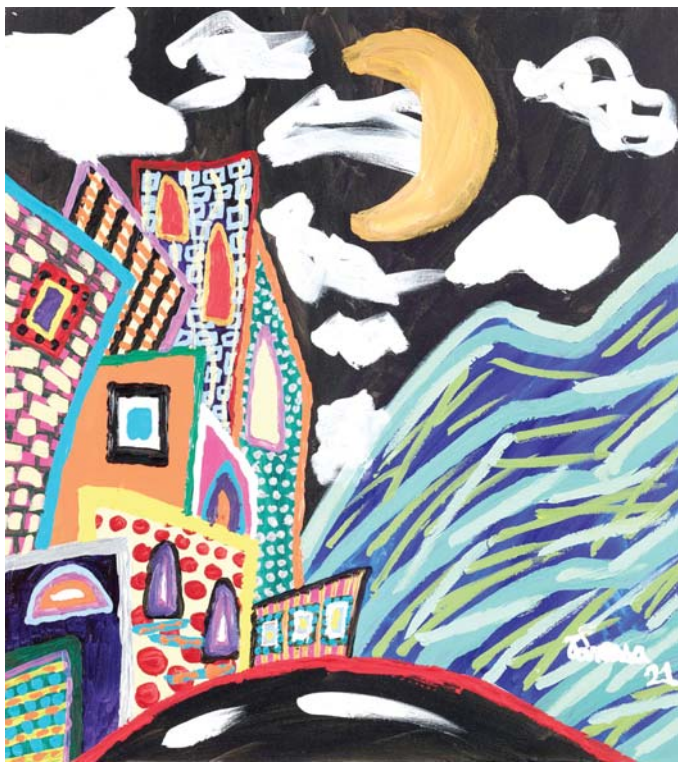

توهج فرح يوحي بالسكينة رغم المصير المجهول

المصرية علياء الجريدي تنسج بالخيوط والإبر رحلة الإنسان في الكون

غاليري مصر يستهل موسمه الفني الجديد بمعرض تستعرض فيه علياء الجريدي علاقة الإنسان بالمكان والزمان

القاهرة – يفتتح الأحد غاليري مصر بالقاهرة موسمه الفني الجديد بمعرض فردي للفنانة المصرية علياء الجريدي تحت عنوان "الرحلة" والذي يستمر عرضه حتى العاشر من أكتوبر القادم.

وعن المعرض والفنانة قال محمد طلعت مدير الغاليري "تُعدّ علياء الجريدي إحدى أيقونات الفن النسوي محليا وعربيا، بل وحتى عالميا، وهو ما يُعطي الحدث أهمية وطابعا خاصا".

والفن النسوي شكل من أشكال فنون ما بعد الحداثة ظهر كجزء من حركة تحرير المرأة أواخر ستينات القرن الماضي لتسليط الضوء على الاختلافات الاجتماعية والسياسية التي تواجهها المرأة في حياتها، وتتراوح الوسائل المستخدمة في الفن النسوي بين الفن التقليدي، ووسائل غير تقليدية مثل فن الأدا والفيديو، وفن النسيج، وهو يُمثّل قوّة دافعة مبتكرة نحو توسيع نطاق تعريف الفن من خلال إشراك وسائل جديدة، تتحدّى الحدود وتجمع بين التخصّصات والخبرة الذاتية.

وتقول الفنانة عن معرضها "الرحلة، حيث أن فكرة السفر عبر الزمن والتعرّف على عوالم الماضي والمستقبل المختلفة فكرة تراودني منذ الطفولة، هو فضول كي أتعرّف على بشر وكائنات وعوالم، لقد أعطاني الفن فرصة السفر بخيالي لتجسيد البعض منها ممّا أشبع بعضا من تساؤلاتي".

وتُحاول الفنانة المصرية عبر معرض "الرحلة" أن تقدّم في كل عمل أنجزته مشهدا من مشاهد ما أسمته "رحلة آلتي الزمنية"، تستعرض بها ومن خلالها علاقة الإنسان بالمكان والزمان، واحتياجه لمراجعة هذه العلاقة ومساراتها.

وتوضّح "على مدار مراحل تاريخي الفني قمت باستخدام تقنيات مختلفة، وفي هذه المرحلة وجدت أن استخدام القماش والإبر والخيط هي مغامرة جديدة للتشكيل بخامات تقليدية مفاهيم حداثية مُعاصرة، عنوان وفكرة المعرض مستوحان من رواية 'آلة الزمن' للكاتب هيربرت جورج ويلز، وفي الرحلة قرّرت تبني منطق الطبيعة في تصوير كل مشهد، فالطبيعة في النهاية صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة، والطبيعة كانت ولا تزال معلمتي الأولى".

و"آلة الزمن" المستوحى منها معرض الجريدي هي أول رواية خيالية للكاتب هربرت جورج ويلز صدرت في العام 1895، وتتحدّث عن عالم انتقل عبر الزمن إلى المستقبل البعيد، فوجد كيف أن مستقبل البشرية مظلم، حيث أنه من خلال المسافة الطبقية بين الأغنياء والفقراء، سيظهر جنسان من البشر، وكل جنس هو أحفاد لمن سبقوه، فأحفاد الأغنياء سيكونون جنسا غبيا ضعيفا يسمى "الأيلو" وذلك بسبب تطوّرهم عبر الزمن، فما الحاجة إلى القوة أو الذكاء بالنسبة إليهم أو لآبائهم أو لأجدادهم، حيث أنهم كانوا منعمين.

أما أحفاد الفقراء فسيتحوّلون إلى جنس همجي أو حيوانات لا تمت إلى البشر بصلة يسمّون "المورولوك"، فهم يسكنون تحت الأرض ويعملون ويكدّون دائما كما كان يحيى آباؤهم وأجدادهم ولكنهم يزيدون عنهم في أنهم تكيّفوا وتطوّروا مع هذا الوضع المزري، ولكن هناك شيء قد يُعيد إلى الجنس المتدني الحيواني هذا بعض كرامته وهو استغلال ضعف الجنس الآخر "الأيلو" وجعلهم الغذاء، حيث يدعونهم يأكلون ويشربون وينعمون إلى أن يأتي الدور على أحدهم فيخطفهُ المورولوك ويأكلونه.

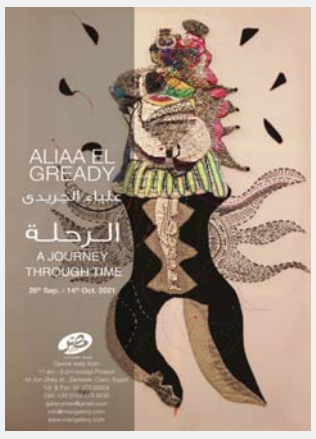

وتجمع الجريدي في لوحاتها، عامة، بين التشخيص والتجريد، مستعيرة أشكال المخطوطات القديمة مع الاعتماد على أسلوب الترصيص في ظل الغياب التام لمركز اللوحة عن عمد، فلا تُعلي شيئا فوق شيء داخل اللوحة ولا أبعادا محدّدة لنقاط تمركزها، كما تمزج الفنانة بين الواقع والخيال في أعمالها التي تستخدم فيها الرموز من عالم الحيوان، وكأنها تشير إلى البراءة والمثالية والرغبة في تصحيح الواقع الذي تودّ إبرازه من خلال مرجعيتها في الحياة اليومية.

وعلى مستوى التقنية تذكّر لوحات الفنانة المصرية، وإن اختلفت أدواتها وخاماتها، بأعمال الفنان الإسباني خوان ميرو، ويبرز هذا التأثر في لا وعي الفنانة عبر حركة الخيوط الحمراء والزرقاء والرمادية في تنوّع لوني يصعب تنفيذه. تقنية تتطلب صبرا وبراعة وإحساسا أنثويا واعيا، أساسه: متى ترسم خطوطا ومتى تكتفي بكتلة تحيط بالكل، ومتى تطرّز ومتى تمسك بالفرشاة؟

كما ترسم أحيانا كائنات خرافية من نسج خيالها تجعلها عادة بطلا لأعمالها، ثم تتخلى عنها مكتفية بالخامة وسحرها، وهي في ذلك تستلهم الرموز والعناصر التراثية، خصوصا في ما يتعلّق بصورة المرأة في الثقافة الشعبية، وما يتصل بعالم الحيوانات والطيور، وما ينتمي إلى سحر البحر المتوسط من أمواج ورمال وصخور وكائنات بحرية، وتتجلى في أعمالها نزعة إلى البراءة وإعادة صياغة الواقع من خلال قراءة التاريخ بعيون لاقطة ناقدة.

وهي في مزجها بين عالمي الإنسان والحيوان ترى أن "هناك الكثير من التداخلات بين هذين العالمين بالفعل، ففي حين يحتفظ الحيوان بمشاعر النبل أحيانا يمعن بعض البشر في توحشهم، فالمساحة بين البشر والحيوان هي مساحة رمادية".

وتتنوّع أعمال الجريدي بين التركيب في الفراغ والفيديو والرسم والمجوهرات، مُحاولة من خلالها جميعا فتح مساحة لإعادة التفكير في المسلمات التي تخلق شكل العلاقات المعاصرة بين البشر.

لوحات حداثية بخامات تقليدية